SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

/ Journal home page: http://jistsr.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد **5**، العدد 4، أكتوبر 2019م

e-ISSN: 2289-9065

دلالة أوصاف القرآن الكريم على أنه واضح المعنى

CLEAR MEANING BASED ON HOLY QURAN DESCRIPTIONS

سهام بنت عبد الله بن إبراهيم الحميدي

جامعة الملك سعود بالرياض –كلية الآداب

seee.hamza58@gmail.com

د. محمد فتحي محمد عبد الجليل

جامعة السلطان زين العابدين (UniSZA) كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة (FKI)

mfathy@unisza.edu.my

1441هـ– 2019 م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/8/2019
Received in revised form1/9/2019
Accepted 30/9/2019
Available online 15/10/2019
Keywords:

Abstract

This research includes ten descriptions of the Holy Quran, which shows that Quran explains everything. Whereas every descriptions is separately defined to enhance the referring verse, Significance of the research is to serve the Holly Quran to provide advice to collect all descriptions. As it enhances faith and strengthen certainty. It is one of the basic faith six corners, as the Holly Quran is reference and leader for right path to avoid faults, This study results are that scientific has meaning knowledge of Quran, as those who said that no one can get the meaning. It is considered wrong to be contrary for Sunna and Quran. As people should know that all verses are clear for all nations, so we provide this research.

ملخص البحث

اشتمل هذا البحث على عشرة من أوصاف القرآن الكريم التي تبين أن ليس في القرآن مالا يعلم معناه،كما يدرس كل وصف على حده ويورد الآيات الدالة، ولا تخفى أهمية هذه الدراسة في كونها خدمة لكتاب الله الكريم والنصيحة له بجمع أوصافه، وأيضاً في كونها تزيد الإيمان وتقوّي اليقين، وهي أحد أركان الإيمان الستة، فمن جعل كتاب الله مرجعه وهاديه وقائده إلى الصراط المستقيم عُصِم من الزلل، وحاصل هذه الدراسة أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه، وأن من قال إن من القرآن ما لا يفهم أحد معناه، فإنه مخالف لإجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة.فلابد أن يُعلم أنه ليس في القُرْآن آية لا يفهمها جميع الأمة، وهذا هو الذي من أجله كُتب هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: وصف، قرآن، واضح.



المقدمة

الحمد لله المنَّان، الذي أكرمنا بالقرآن، فأنزله على عبده المصـــطفى ولم يجعل له عِوجًا، نزَّله فرقانًا وتبيانًا لكل شيءٍ، فقد قال في محكم التنزيل: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (1)

وقال: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (2)، والصلاة والسلام على من أرسله الله –تعالى– بالقرآن رحمةً للعالمين، فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان واليقين، وعلى آله وصـــحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله امتن على نبيه – صـــلى الله عليه وســـلم– بأن أنزل عليه هذا الكتاب العظيم لذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وضمَّنَه نبأ ما كان قبلَنا، وخبر ما بعدنا، وحُكم ما بيننا، وجعله الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبَّارٍ قصـــمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضـــلَّه الله، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألســـنة، ولا يشـــبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الترداد، من قال به صـــدق، ومن عمِل به أُجِر، ومن حكم به عدَل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم .

ومـعـلـومٌ أنَّ كـثـرة الأسمـاء والأوصــــاف تـدل عـلـى شــــرف المســــمى، يـقـول الـعـلامـة الفيروز آبادي: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شـــرف المســـمَّى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسـد دلَّت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلَّت على كمال شـدتها وصـعوبتها، وكثرة أسماء الداهية دلت على شـــدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله –تعالى– دلَّت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي –صـــلى الله عليه وسلم– دلَّت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه وفضيلته".(3)



وفي هذا البحث سأتناول أوصاف القرآن الكريم التي تدل على أن ليس في القرآن الكريم مالا يعلم معناه من خلال مبحثين: أحدهما عن أوصاف القرآن الكريم، وثانيهما عن هل يجوز أن يشتمل القرآن على مالا يعلم معناه.

المبحث الأول: أوصاف القرآن الكريم

المطلب الأول: المبين

وصف القرآن بالمبين، دلالة على أنه لا يوجد في كتاب الله شيء لا يعلم معناه، فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه مبين، وبيان للناس، وأنه أنزله تبيانا لكل شيء، وهذا يقتضي ألا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحدا من الأمة معرفة معناه، قال تعالى: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (4)، وقال تعالى: "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" (5).

وهذه أوصاف للقرآن الكريم تقتضي اقتضاءً تاماً أنه في أعلى المقامات من البيان والوضوح،وانتفاء اللبس والجهل فيه دون استثناء. فمن زعم أن في القرآن مالا سبيل إلىفهمه، ولا حيلة لبلوغ مراد المتكلم به،فقد طعن في القرآن طعناً بليغاً، وشك في مقاصده.

قال ابن القيم: "ولهذا لا تجد كلاماً أحسن تفسيراً، ولا أتم بياناً من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه سبحانه بياناً، وأخبر أنه يسَّره للذكر، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير: إحداها: تيسير ألفاظه للحفظ، الثاني: تيسير معانيه للفهم، الثالث: تيسير أوامره ونواهيه للامتثال ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب، لم يكن ميسراً له بل كان معسراً عليه، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل على خلافه، فهذا من أشد التعسر وهو مناف للتيسير" (6).



وقال الشيخ محمد بن عثيمين: "إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي يختلف به الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق، من ترك التعرض له والتخبط في معناه. أما من حيث واقع النصوص الشرعية، فليس فيها -بحمد الله- ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه، فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحد من الأمة معرفة معناه.[7]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ"(8): "هي في الوضوح والدلالة على الحق، قد بلغت مبلغًا عظيمًا ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر"[9].

المطلب الثاني: المفصل.

وصف القرآن بالمفصل دلالة على أنه لايوجد في القرآن شيء لا يعلم معناه، فالقرآن الكريم وُصف بالمفصل أي: الذي بيَّن فيه الحلال والحرام والمعصية والطاعة؛ لئلا يحصل اللبس للعباد[10].

ووُصف بالفصل، قال تعالى: "إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ"(11)، أي: فاصلٌ يفصلُ بينَ الحقِّ والباطلِ، فكيفَ يكونُ فصلًا إذا لم يكنْ إلى معرفةِ معناه سبيلٌ؟[12]، وقال تعالى: "وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ 0 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ"(13)، فقد أخبر الله في هذه الآية أنه فصّل الكتاب، أي: بيّنه وميّزه بحيث لا يشتبه. ثم قال: هل ينتظرون إلا تأويله: وإنما ذلك مجيء ما أخبر



القرآن بوقوعه من القيامة وأشـــراطها، فمع علم معناه وتفصـــيله لم يعلم تأويله، فعلم أن فرقاً بين علم المعنى وعلم التأويل[14].

المطلب الثالث: التفصيل

وصف القرآن بالتفصيل دلالة على اشتمال القرآن على الدين كله بأوضح بيان، وصف القرآن بالمفصل دلالة على اشـتمال القرآن على الدين كله، وأول ذلك مســائل وأصــول الاعتقاد، ومســائل التوحيد، والقول بأن القرآن لا يحتوي على مسائل التوحيد، أو أن القرآن لم يبيِّن مسائل العقيدة بشكل واضح، وأن بيان القرآن لمسائل الدين يحصل به اللبس والخفاء، من أعظم الظلم، وأقبح الطغيان.

فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بالتفصيل والمفصل، قال تعالى: "لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ مَا كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْــدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِــيلَ كُلِّ شَــيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (15)، فهذه الآية وغيرها من الآيات دالة دلالة صــريحة على بيان الله -تبارك وتعالى- لكل شــيء متعلق بالدين في القرآن، تفصــيلاً وتأصــيلاً، وأول ما يدخل في هذا البيان والتفصــيل أمور التوحيد والعقيدة، الذي من أجله أرســل الله الرســل وأنزل الكتب، ولقد وضَّحت أمور الاعتقاد في القرآن أوضح البيان، واحتجَّ لها أبلغ الاحتجاج.

وقال تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ" (16)، قال العلامة السعدي: "وينزل الكتب الإلهية على رســله، ويبيِّن ما يحتاج إليه العباد من الشــرائع، والأوامر والنواهي، ويفصِّــلها غاية التفصــيل، ببيانها، وإيضـاحها وتمييزها، لعلكم بسـبب ما أخرج لكم من الآيات الأُفقيَّة، والآيات القرآنية: "بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"(17)، فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضــوحها، من أســباب حصــول اليقين، في جميع الأمور الإلهية، خصــوصًــا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور"(18)، وقال تعالى: "وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ"(19).

فلا يتصور أن يجيء إنسان ويخترع في الدين شيئاً؛ لأن الزيادة تعتبر استدراكًا على الله ، وتوحي بأن الشريعة ناقصة، وهذا يخالف ما جاء في كتاب الله، أن الله فصل فيه جميع ما يحتاجون إليه في أُمور دينهم.

المطلب الرابع: البلاغ

وصف القرآن بالبلاغ يدل على أنه لا يوجد في القرآن ما لا يعلم معناه، وقد جعل الله تعالى هذا القرآن بلاغاً للناس، وجعله حجة على العباد، وعلق العذاب والمساءلة على من قامت عليه الحجة، ولا تقوم الحجة إلا على من فهمها وأدركها، ولهذا لا حجة على المجنون والصبي ومن في حكمهما، فمن قال: إن في القرآن مالا يعقل معناه فقد أبطل حجة الله على عباده [20] فإن الله لا يوحى إلا بالكلام الواضح، فكلام الله بلاغ وبيان وهدى للناس.

ووصف القرآن بالبلاغ يدل على إعمال الظواهر، فإنه لا يتم بلاغ ولا يكمل إنذار، ولا تقوم الحجة ولا تنقطع المعذرة بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين، ولا تدل على مراد المتكلم بها؛ بل إن من أعظم مقاصد القرآن الكريم؛ إبلاغ الخلق وتبصرتهم في دينهم، فلا التباس في أمره ونهيه، ولا إلغاز في إرشاده وخبره، باطنه وظاهره سواء،ودلالته واضحة في جميع أمور الدين،ولاسيما ما يهم الأمة في شأن اعتقادها فهو أولاها بالإيضاح، والإفهام بلسان عربي مبين.

المطلب الخامس: الهدى

وصف القرآن بالهدى دلالة أنه لا يوجد في القرآن ما لا يفهم معناه، "وقد أخبر الله –تعالى– أنه أحكم آياته وأنها مبينة وأنها هدى وأنها نور، وهذا إنما يكون إذا كانت مبينة لما أرادهوعناه، وأما إذا كان لا فرق فيها بين المراد وغيره لا يدل على واحدمنهما لم تكن مبينة ولا هادية ولا محكمة ولا نوراً" [21] ، لذلك قال شيخ الإسلام: "لا يجوز أن

يكون الله أنزل كلامًا لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ"[22].

المطلب السادس: أحسن الحديث

وصـــف القرآن بأحســـن الحديث دلالة على إعجازه وانه معلوم المعاني، وقد ذكر العلماء-رحمهم الله تعالى- وجوهًا كثيرة من دلائل إعجاز القرآن، وذكروا منها: أسلوبه المخالف لأساليب كلام العرب، مع قوة فصاحتهم، فأتى القرآن الموصف بأنه حديث؛ لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم-كان يحدِّث به أصحابه)، بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحســـن تفوق به كل طريقة، فتفوق المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، ويفوق الموزون الذي هو أحســـن الكلام عندهم. فجاء كتاب الله بأسـلوب لا تمله النفوس على تكراره، ولا عجب في ذلك فالقرآن الكريم وصفه الله -تعالى- بأنه أحسن الحديث، فقال تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ" ([23])، وصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول في خطبه: أما بعد: "فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، صلى الله عليه سلم"[24].

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: "نفس نظم القرآن وأسـلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أسـاليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذاالأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولاالرجز،ولاالرسائل، ولا الخطابة، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهموعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته، هذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق"[25]، وقال السيوطي: "الوجه الثالث من وجوه إعجازهحُسْن تأليفه، والتئام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادةَالعرب الذين هم فرسانُ الكلام وأربابُ هذا الشأن، فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب



مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له"[26].

المطلب السابع: العليّ

وصف القرآن بـــالعليّ دلالة أنه أفضل الكلام على الإطلاق، وأنه أرفع الكتب السماوية،وأنه في أعلى درجات البيان، فالقرآن الكريم أفضل الكتب السماوية وخاتمها والمهيمن عليها والمصدق لها، أنزله الله على صفيه وخليله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ ابن سعدي في فضل القرآن الكريم، وأنه أفضل الكتب السماوية: لأنه "مشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، ومصدق لما بين يديه من الكتب؛ لأنه شهد للكتب السالفة ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به فصار وجودها مصداقًا لخبرها، وهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفيسة، فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والإحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل وإلا فلو كان من عند الله لم يخالفه"[27]، وقال شيخ الإسلام في ترتيب الكتب السماوية من الأفضلية: "فإن أشرف الكتب القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل"[28]، وفي الحديث: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضّلت بالمفصّل"[29]، وقد تكفّل الله –تعالى– بحفظ القرآن الكريم، فلم تمتد إليه يد التحريف، خلافاً للكتب السماوية،كما قال سبحانه: "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[30].



وقد قال المفسرون في تفسير وصف القرآن بـ العليّ في قوله تعالى: "وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ"(31)، لَعَلِيٌّ: " أي: أنه رفيع القدر بين الكتب، شريف المنزلة؛ لكونه معجزاً من بينها. أو: في أعلى طبقات البلاغة"(32)، " أي لذو علو وشأن على الكتب قبله، لا يوصل إلى مستواه في علوه ورفعته"(33)، أو: عندنا لذو علو ورفعة، وقيل: معنى عَلِيٌّ: قاهر لا يقدر أحد أن يدفعه ويبله، معجز لا يؤتى بمثله"، أو: "رفيع لَا يَنَالهُ أحد بتبديل وَلَا تَغْيِير"(34)، وقيل العليّ بمعنى العالي، وهو عليٌّ عن وجوه الفساد والبطلان، وقيل: المراد كونه عاليًا على جميع الكتب؛ كونه معجزًا باقيًا على وجه الدهر"(35)، وهو عاليٌ عن وجوه الفساد(36)، وعليٌّ عليها في بيانه وإيضاحه وعدم التباس معانيه.

المطلب الثامن: الحكيم

وصف القرآن بأنه الحكيم دلالة أنه واضح المعنى، وصف الله كتابه العزيز ب (الحكيم)، والحكمة: وضع الأمور في مواضعها الصحيحة وليس من الحكمة في شيء أن يكون هذا الكلام الحكيم لا يفهم معناه، ولا يفهم المراد منه، فضلاً على أن يكون لا سبيل إلى الوصول إليه، فالله أنزل كتابه ووصف كتابه جميعاً بالحكيم والمبين، وهذه الأوصاف وغيرها تدل دلالة واضحة أن كلام الله ميسر فهمه لكل الأمة.

ووصف القرآن بالحكيم رد بليغ على الذين جعلوا كلام الله المنزل باللسان العربي المبين، بمنزلة الألفاظ الأعجمية والحروف المعجمية التي لا يدرك منها إلا الصورة والصوت والرسم فقط. أما ما تضمنته من معانٍ شريفة وأوصاف جليلة فلا حظ لهم فيها.

المطلب التاسع: المهيمن

وصف القرآن بالمهيمن دلالة على هيمنته على مصادر المعرفة وانسجامه مع حقائق العلم، فالقرآن هو المصدر الأساسي والأول للمعرفة عند أهل السنة والجماعة، فما وافقه فهو صحيح وما خالفه فهو باطل، لا سيما إذا كانت

المعرفة تتعلق بالغيبيات أو الفرائض والعبادات،خلافاً لمن يقدم غيره من مصـــادر المعرفة عليه كالمعتزلة و الجهمية الذين يقدمون العقل عليه، والماديون الذين يقدمون الحس والتجربة على القرآن إذا عارضتها.

فإن الوحي بما يمتلك من صفة الهيمنة يعتبر مصدر المصادر للمعارف والعلوم، وسبحان الله منزل الوحي وحافظه وعاصمه! قال تعالى: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"([37]).

وتبـارك الله رب العـالمين! خلق الخلائق كلهـا، يعلمهـا علم الخلاق العليم "أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"([38]). وحسـبنا أن نقول: إنه على الرغم من تقدُّم العلوم والمعارف لم يسـتطع العلم أن يسـجل مناقضـة واحدة للنص القرآني، بل جاء العلم تأكيداً لما جاء به القرآن، وانسجامه معه دليل أسبقية القرآن للعقل البشري المحدود، وأنه لا تناقض بين العقل والوحي ولا ثنائية بينهما وحقاً: "أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً"([39])؛ مما جعل القرآن مصـــدراً لاســـتمرار المعرفة وتصـــويب النظريات، بحيث يكون القرآن هو المرجع لتأصيل العلوم وتحديد وجهتها وبيان هدفها، ومن عقيدة أهل السنة أنهم يرون في القرآن كفاية وغنية عما في غيره من الكتب(40).

المطلب العاشر: العربي

وصـــف القرآن بأنه عربي دلالة أن جميع معانيه معلومة ومعقولة، قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"([41])، قال ابن كثير: "وذلك لأن لغةَ العرب أفصحُ اللغات وأبينُها وأوسعُها، وأكثرُها تأديةً للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزلَ أشـــرف الكتب بأشـــرف اللغات"[(42)]، وقال تعالى: "إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"([43])،فجعل كونه عربياً علة وسبباً لتعقله، قال شيخ الإسلام: "فبين أنه أنزله عربياً لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه"[(44)].



كما أن كونه عربياً مفهوم المعنى سببٌ لحصول العلم، قال تعالى: "كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"(45)، فالآيات التي وصف الله القرآن الكريم بها بأنه عربي تدل دلالة قطعية على اختيار الله -تعالى- للغة العربية بسبب ما أُودع فيها من خصائص البيانية في الدلالة على المعاني المرادة لتكون وعاءً لكلام الله تعالى، يعقله أهل هذا اللسان جرياً على ما هو معهود في لغتهم وتخاطبهم وأساليبهم وتراكيبهم المختلفة، والسلف -رحمهم الله- كانوا يرجعون إلى لغة العرب ودواوينهم فيما يشكل عليهم من بعض المعاني، وكتب التفاسير ملأى بذلك.

ووصف القرآن الكريم بأنه عربي ردٌّ بليغ على دعاة التفويض الذين جعلوا بعض كلام الله المنزل باللسان العربي، بمنزلة الألفاظ الأعجمية والحروف المعجمية التي لا يدرك منها إلا الصورة والصوت والرسم فقط. أما ما تضمنته من معاني شريفة وأوصاف جليلة فلا حظ لهم فيها.

ولما كان فهم الخطاب حجة للمخاطب، قطع الله هذه الحجة عن المخالفين، قال تعالى: "وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُءَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ"(46)، فكأن هؤلاء المفوضة يردون على الله كلامه ويقولون بلسان حالهم، بلى قد جعلت بعض هذا القرآن بمنزلة الكلام الأعجمي، كما قال تعالى: "وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ"(47)، فاختلاف اللسان سببٌ لعدم الإيمان. فكيف بمن يستدعي ذلك ويزعم أن الكلام الموجه إليه بصريح لغته وفصيحها غير مفهوم ولا يورث الإيمان؟.

قال ابن حزم: "ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، ولا خبرًا عن ظاهره؛ لأن الله تعالى يقول: "بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"(48)، وقال تعالى ذاماً لقوم: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ"(49)، ومن حال نصًّا عن ظاهره في اللغة بغير برهان من آخر أوإجماع، فقد ادعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرف كلام الله -تعالى- ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن موضعه" (50).



وكون القرآن عربيًّا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

المبحث الثاني:هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه؟

وهي مسألة مهمة متعلقة بباب المتشابه، وهذه المسألة؛ نتيجة للخلاف في المتشابه، هل هو معلوم المعنى أو مما استأثر الله بعلمه؟

فمن جعل معاني بعض النصوص مما استأثر الله بعلمها، عمدوا إلى تأويل النصوص إلى معان أخرى باطلة، وقد احتجوا بالآية: "وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" (51)، على قراءة العطف، وفسَّروا التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم بأنه صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح. وهذا خطأ عظيم؛ لأن التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم –على قراءة الوصل– هو التفسير.

قال ابن القيم في ذكر الطوائف التي عارضت الوحي: "اللاأدرية الذين يقولون لا ندري معاني هذه الألفاظ ولا ما أريد منها ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون: إنها أسلم، ويحتجون عليها بقوله تعالى: "وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ"(52)، ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف" [53].

وأصحاب المناهج المنحرفة، ما خالف أصولهم وأهوائهم، قالوا فيه: إنه من المتشابه الذي لا يُعلم معناه، وأن لها معنىً لا يعلمه إلا الله، وحينئذ فسبيله أحد أمرين: إما التأويل عن طريق المجاز وغيره، أو التفويض، ولقد قرر هؤلاء عقيدة التفويض بإثبات المتشابه الذي لا يعلم معناه، ويجب الإيمان بلفظه، وهذا خلاف عقيدة السلف.

والقائلون بالتفويض قسمان: قسم يقول: إن الرسول كان يعلم معاني النصوص المتشابهة، ولكنه لم يبين للناس مراده منها، ولا أوضحه للناس، وقسم يقول: وهؤلاء هم أكابر أهل الكلام الذين يميلون لأقوال الفلاسفة – يقولون:



إن معاني هذه النصـوص المشـكلة المتشـابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صـرفها عن ظواهرها، وعلى قول هؤلاء فالأنبياء والرسـل لم يكونوا يعلمون معاني ما أنزل الله إليهم.ولا شـك أن هذا ضـلال مبين وقدح في القرآن وفي الأنبياء [54].

والتفويض الذي زعمه هؤلاء يؤدي إلى أن لا نفهم كتاب الله ولا نفرق بين آية وآية، وإنما نتلوه كالأعاجم الذين لا يعرفون العربية مطلقًا، وهذا مآله إلى الضلال والإلحاد.

وقال شيخ الإسلام راداً عليهم:"وأما التفويض فإن من المعلوم أن الله –تعالى– أمرنا أن نتدبَّر القرآن، عن فهمه ومعرفته وعقله.

وأيضـــاً: فالخطاب الذي أريد به هدانا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلى النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصـــوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما يبين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يبين الحق، ولا أوضـــحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين له الحق، ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً، أو أنفهم منه ما لا دليل عليه فيه– وهذا كله مما يعلم بالاضـــطرار تنزيه الله ورســـوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد" [55].

"والمقصـود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلامًا لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسـول – ‘ – وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ..." [56].



وقال أيضًا: "والدليل على ما قلناه إجماع السلف؛ فإنهم فسروا جميع القرآن...وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن، إلا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه، لا لأن أحدًا من الناس لا يعلمه، لكن لأنه هو لا يعلمه أيضًا فإن الله قد أمر بتدبُّر القرآن مطلقًا، ولم يستثن منه شيئًا لا يتدبر، ولا قال: لا تدبروا المتشابه ... ولأن من العظيم أن يقال: إن الله أنزل على نبيه كلامًا لم يكن يفهم معناه، لا هو ولا جبريل ... وأيضًا فالكلام إنما المقصود به الإفهام؛ فإذا لم يقصد به ذلك كان عبثًا وباطلاً، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث ... وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره، نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب"[57].

واتفق السلف على أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله، كالروح، ووقت الساعة، والآجال، وهذا قد يسمى بالمتشابه[58].

وهي من قبيل الغيبيات،ومن ذلك قول الإمام الطبري: "وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك، فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها؛ لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه"[59].



والخلاصة أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه، وأن من قال إن من القرآن ما لا يفهم أحد معناه، ولا يعرف معناه إلا الله، فإنه مخالف لإجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة،ويوجد في القرآن شيئاً لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله، كالغيبيات

فلابد أن يُعلم أنه ليس في القُرْآن آية لا يفهمها جميع الأمة، وهذا هو الذي من أجله كُتب هذا البحث.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،وبعد فقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج من أبرزها :

1-الراجح -والله أعلم- أن أسماء وأوصاف القرآن الكريم توقيفية، يكتفى فيها بما جاء في الكتاب والسنة، وإن ورد عن بعضهم وصفاً سليماً بغير ما ورد في الوحيين فلعله يكون من باب الإخبار عن الشيء وليس وصف له، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

2-الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده كـ (هدى، نور، عربي، مفصل، مبين، بصائر، الحكيم، المحكم،...) تدل هذه الأوصاف أنه ليس في القرآن ما لا يعلم أحد معناه، بل كل القرآن يجب أن يكون معلوماً.

3-ويوجد في القرآن شيئاً لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله، كالغيبيات.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه ويبارك فيه ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا ممن قدَّم شيئاً ولو يسيراً لخدمة كتاب الله -عز وجل-، فما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، وما كان فيها من صواب فمن الله تعالى وحده.



الهوامش

---

1) سورة الفرقان: 1

2) سورة النحل: 44.

(3) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (د. ت). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 88/1.

4) سورة القيامة: 19.

5) سورة المائدة: 15.

(6) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1408هـ). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة. 332/1.

(7) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1995م). تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. الرياض: دار أضواء السلف. ط: 3. ص33.

8) سورة البقرة: 99.

(9) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1422هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. اعتنى به: سعد بن فواز الصميل. الرياض: دار ابن الجوزي. ص60.

(10) الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله التركي. القاهرة: دار هجر. 318/13.



11) سورة الطارق: 13.

(12) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1416هـ). مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 17/ 432.

13) سورة الأعراف: 52- 53.

(14) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (د. ت). الإكليل في المتشابه والتأويل. تعليق: محمد الشيمي شحاته.

الإسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر. ص11.

15) سورة يوسف: 111.

16) سورة الرعد: 2.

17) سورة الرعد: 2.

(18)السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص412.

19) سورة يوسف: 111.

(20) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. (1995م). أساس التقديس في علم الكلام. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ص123؛ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1426هـ). بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. تحقيق: مجموعة من المحققين. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 222/8.

(21) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المرجع السابق، 404/8.

(22) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 399/17.

23) سورة الزمر: 23.



(24) البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. القاهرة: دار طوق النجاة. ح(6098).

(25) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحميد. (1999م). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون. القاهرة: دار العاصمة. 433/5.

(26) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1988م). معترك الأقران في إعجاز القرآن. تعليق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. 23/1.

(27) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص234.

(28) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مرجع سابق، 208/5.

(29) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (2001م). المسند. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة. 107/4، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص119، والبيهقي في الشعب ح (2415)، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: إسناده صحيح 350/1.

30) سورة الحجر: 9.

31) سورة الزخرف: 4.

(32) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. (2002م). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان وحسن عباس زكي، بيروت: دار الكتب العلمية. 233/5.

(33) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر. (2003م). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ط: 5. 626/4.



(34) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط: 2. 62/16.

(35) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. (1421هـ). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية. 617/27.

(36) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. 357/9.

37) سورة الأنعام: 115.

38) سورة الملك: 14.

39) سورة النساء: 82.

(40) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 47/17.

41) سورة يوسف: 2.

(42) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1401هـ). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. 365/3.

43) سورة الزخرف: 3.

(44) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 158/5.

45) سورة فصلت: 3.

46) سورة فصلت: 44.

47) سورة الشعراء: 198- 199.

48) سورة الشعراء: 195.



49) سورة النساء: 46.

(50) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (1985م). النبذة الكافية في أحكام أصول الدين. تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية. ص36.

51) سورة آل عمران: 7.

52) سورة آل عمران: 7.

(53) ابن القيم، الصواعق المرسلة، مرجع سابق، 920/3.

(54) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1991م). درء تعارض العقل والنقل. تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود. ط: 2. 204/1-205

(55) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، المرجع السابق، 201/1-202.

(56) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 390/17-399.

(57) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 395/17 - 400.

(58) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المرجع السابق، 144/13.

(59) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، 74/1.



المصادر و المراجع

1. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. القاهرة: دار طوق النجاة.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (د. ت). الإكليل في المتشابه والتأويل. تعليق: محمد الشيمي شحاته. الإسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر.
3. ـــــــــــــــــ. (1426هـ). بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. تحقيق: مجموعة من المحققين. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
4. ـــــــــــــــــ. (1991م). درء تعارض العقل والنقل. تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود. ط: 2.
5. ـــــــــــــــــ. (1416هـ). مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
6. ـــــــــــــــــ. (1999م). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون. القاهرة: دار العاصمة.
7. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر. (2003م). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ط: 5.
8. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (1985م). النبذة الكافية في أحكام أصول الدين. تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.



9. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (2001م). المسند. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.

10. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر.

11. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. (1995م). أساس التقديس في علم الكلام. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

12. ــــــــــــــــــــ. (1421هـ). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية.

13. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1422هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. اعتنى به: سعد بن فواز الصميل. الرياض: دار ابن الجوزي.

14. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1988م). معترك الأقران في إعجاز القرآن. تعليق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

15. الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله التركي. القاهرة: دار هجر.

16. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1995م). تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. الرياض: دار أضواء السلف. ط: 3.

17. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. (2002م). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان وحسن عباس زكي، بيروت: دار الكتب العلمية.

18. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (د. ت). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.



19. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط: 2.

20. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1408هـ). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة.

21. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1401هـ). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر.

